

الفصل الخامس

التليفزيون والسلوك العدواني عند الأطفال

تمهيد

أسباب السلوك العدواني

أولا : الأدلة على علاقة العنف التليفزيوني بالسلوك العدواني

- ١ - أدلة من الدراسات التجريبية .
- ٢ - أدلة من الدراسات على المواقف الطبيعية .
- ٣ - أدلة من الدراسات الطولية .

ثانيا : كيف يمكن أن تؤثر مشاهدة العنف التليفزيوني على نمو السلوك العدواني عند الأطفال

علاقة مشاهد العنف التليفزيونية بالسلوك العدواني من منظور معرفي خاص بمعالجة

المعلومات

- ١ - الصور النمطية scripts
 - ٢ - مشاهد العنف التليفزيونية ونظرية الصور النمطية scripts theory .
- (أ) العوامل الموقفية والبيئية .

- مدى بروز مشهد العنف التليفزيوني .
- البيئة الأسرية .
- تعليقات الآخرين أثناء مشاهدة الطفل للتليفزيون .

(ب) العوامل الشخصية

- الاستعدادات الشخصية للطفل
- تفسير المشهد العنيف
- الجنس

ثالثا : الاجراءات التي يمكن اتخاذها للحد من هذه المشكلة

- ١ - الإدارات الإعلامية

- ٢ - الأباء

الفصل الخامس

التليفزيون والسلوك العدواني عند الأطفال

تمهيد :

يمثل السلوك العدواني عند الأطفال مشكلة أكليينكية واجتماعية هامة، فقد اتضح أن ما يقرب من ثلث أن لم يكن نصف الحالات النفسية التي تحول إلى العيادات النفسية الأكليينكية للأطفال عبارة عن مشكلات نفسية تتضمن سلوك عدواني، ويتضح هذا بصورة واضحة في بعض المجتمعات الأجنبية وبخاصة المجتمع الأمريكي، فقد تبين طبقا للدليل التشخيصي للجمعية الأمريكية للطب النفسي أن ٩% من الأولاد و ٢% من البنات في الولايات المتحدة يعانون من اضطرابات سلوكية حادة وإن معظم هذه الاضطرابات سلوك عدواني (كازدين Kazdin ١٩٨٧) . والأطفال الذين يبدون أنواعا من السلوك الإندفاعي العدواني الطائش في حاجة إلى رعاية صحية عقلية واجتماعية كي لا يعرضوا أنفسهم أو غيرهم من الأطفال للأخطار ، لأن مثل هذا السلوك يعد مشكلة لها عواقب باهظة التكاليف بالنسبة للمجتمع .

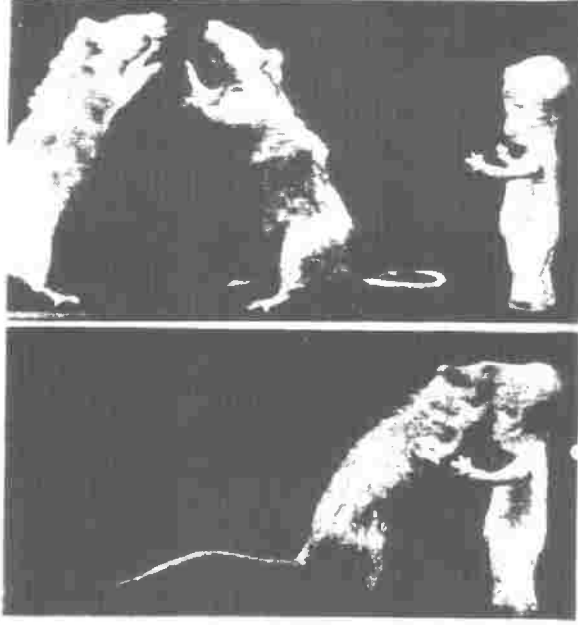
ويمكن التعرف علي الطفل العدواني في مراحل مبكرة من حياته وذلك من خلال ملاحظة طريقة سلوكه وتفاعله مع غيره من الناس كزملائه أو أصدقائه مثلا، ويقال أن كثيرا من هؤلاء الأطفال وبخاصة الذكور قد يظل محتفظا بنمطه العدواني من السلوك في تفاعله الاجتماعي مع الآخرين (فارنجن Farrington ١٩٨٢) ، وقد تبين أن الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة (من سن ٣-٥ سنوات) الذين يظهرون مستوى شديد من الإندفاعية impulsivity وسرعة التهيج الانفعالي irritability وتصرفات عدوانية من المحتمل كذلك أن تظهر لديهم أيضا مشكلات سلوكية في مرحلة الطفولة الوسطي (من سن ٦-٨ سنوات) ، وقد ينخفض تحصيلهم الدراسي فيما بعد ، وكثيرا ما يكونون غير محبوبين من زملائهم ، وقد أتضح من

الدراسات أن مثل هؤلاء الأطفال عندما يصلون إلى مرحلة الرشد يكونون أكثر عرضة من غيرهم للانخراط في الأنشطة الإجرامية ويتسببون في مشكلات زوجية مع زوجاتهم وأيضاً مع زملائهم في العمل في حياتهم العملية (كاسبي وزملاؤه Caspi et al ١٩٨٧) .

ويمكن رد السلوك العدواني والمضاد للمجتمع في معظم الحالات إلى مراحل الطفولة المبكرة ، وبعبارة أخرى : من النادر أن تجد رجلاً ذو سلوك مضاد للمجتمع لم يكن طفلاً عدوانياً ذو سلوك اندفاعي ، والخلاصة هي أن عدوانية الطفولة هي أحد المؤشرات الهامة لظهور العنف والسلوك المضاد للمجتمع في مرحلة المراهقة والرشد .

أسباب السلوك العدواني :

أكد دولارد وزملاؤه Dollard et al (١٩٣٩) وكانوا من علماء جامعة "يال" أن السلوك العدواني يسبقه دائماً وجود إحباط عند الفرد، وإن الإحباط هو الذي يؤدي إلى العدوان ، ويحدث الإحباط في رأيهم عندما يتعرض الفرد لما يعترض سلوكه المقصود أو يعوقه عن إشباع حاجة أو رغبة، وتختلف شدة العدوان الناتجة عن الإحباط باختلاف شدة الدافع المعاق وقوة العائق، وقد لا يظهر العدوان مباشرة عقب الإحباط لأن من الدروس الأولى التي يتعلمها الفرد في حياته هو أن يكبح جماح غضبه ولا يظهره في كل الحالات، ولا يعني هذا اختفاء العدوان بل قد يظهر بصورة أخرى، فهناك مثلاً ما يعرف بإبدال العدوان، ويشبه بعض علماء النفس عمل الإبدال في تخفيف التوتر الناتج عن الإحباط الشديد بعمل صمام الأمان في غلاية البخار، فعندما يزداد ضغط البخار من داخل الغلاية، يسرب الصمام البخار الزائد لحماية الغلاية من الانفجار، كذلك الحال بالنسبة للشخص الغاضب المحبط، تضغط عليه انفعالاته من الداخل فيلجأ إلى الإبدال لتسريب بعضها في سلوك ما، فالطفل المحبط من والده ولا يستطيع التعبير عن غضبه ضده قد يسرب بعضاً من غضبه في الاعتداء على أخيه الصغير، والموظف المحبط من مديره في العمل قد يوجه عدوانه نحو زوجته فيحتد في نقاشة معها أو يعنف أحد أبناءه، وقد استطاع ميللر Miller (١٩٤٨) أن يجعل فأراً يبدل عدوانه ، فعندما لم يستطيع أن يوجه هجومه نحو فأر آخر وجهه نحو دمية أطفال .



11-3

Displacement of a rat's aggression from another rat to a rubber doll. After being trained to strike the other rat to avoid shock, Miller's rat strikes at the doll when the other rat is removed. (Photos courtesy of Dr. N. E. Miller)

وفرض الإحباط - العدوان هذا هو أساس لما قد سمي بنظرية التحامل على شخص ما بتحميله خطايا غيره the scapegoat theory أو كبش الفداء ، وتفيد هذه النظرية بأن العيش في مجتمع منظم يشكل بالنسبة لبعض الناس خبرة إيجابية (بسبب إعاقة سلوكهم أو عدم قدراتهم على إشباع حوائجهم باستمرار) ينتج عنها عدوان هائم مطلق يمكن أن يتعلق بأي موضوع free floating aggression ،

وطبقاً لنظرية دولارد وزملائه يمكن أن نصنف العوائق التي تسبب الإحباط عند الأطفال إلى فئات متعددة منها : عوائق إقتصادية كالْفقر مثلاً^(١) الذي قد يحرم الأطفال من إشباع حاجاتهم نحو الطعام أو الحصول على الملابس أو المأوى المناسبين ، وهناك أيضاً عوائق شخصية ويقصد بها العوائق البدنية والنفسية .

ومواقف الإعاقة التي من هذا النوع كثيرة في حياة الأطفال ، فمن الأشياء التي يمكن أن تسبب لهم الإحباط شعورهم بالعجز عن تحقيق رغباتهم، وقد يكون عجزهم هذا سببه تدخل الكبار ومنعهم لهم من ممارسة انشطتهم المحببة، وقد يكون ناشئاً عن عجز طبيعي في قدرات الطفل، فالطفل الذي لا يستطيع أن يساير زملائه في اللعب بسبب سوء تكيفه الإجتماعي أو لأنه مصاب بمرض أو عاهة تمنعه من مشاركتهم يكون عرضه للغضب المستمر الذي قد يتخذ أشكالاً وصوراً مختلفة، كما أن عدم تعود الطفل على محاولة التغلب على ما يعترضه من عوائق أو مشكلات يسبب له الشعور بالإحباط والغضب، ولذلك فمن الواجب إن نعلمه منذ صغره كيفية حل مشكلاته التي في مقدوره حلها بدلاً من الغضب أو الهياج أو الشكوى، ومن العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى شعور الطفل بالإحباط حرمانه من حب الوالدين وعطفهما بسبب ولاده طفل جديد في الأسرة يستحوذ على اهتمامها ، وقد يدفعه هذا إلى العدوان الذي قد يظهر على شكل عناد أو مشاكسة ، وهي أسلوب غير مباشر للتعبير عن العدوان .

ومن الأساليب غير المباشرة التي يمكن أن يظهر بها أيضاً العدوان عند الأطفال ما يعرف بتكوين رد الفعل^(٢) ، ومثال هذا ما نشاهده من العطف البالغ الذي يبديه الطفل ذو الأربع أعوام على أخيه الرضيع فيغرقه بالقبلات وفجأة تظهر حقيقة مشاعره فلا نسمع إلا صياح الرضيع وتنبين بعد لحظات أنه قرصة أو عضه رغم ما كان يحاول أن يبديه من عطف وحنان .

(١) لا يصح القول بأن الفقر يسبب جرائم العدوان طبقاً لفرض الإحباط - العدوان ، لأن هذه الجرائم قد تنتشر في إحياء فقيرة دون أخرى ، ويرجع هذا إلى العوامل التعليمية البيئية.

(٢) هو حاله نفسية دفاعية يهدف بها الإنسان إخفاء حقيقة مشاعره بإبداء عكس ما يعبر عنها بطريقة مبالغ فيها، مثل كثرة تحدث التاجر الذي يميل إلى الغش عن الأمانة وإظهار الموظف قلق بالغ على صحة رنيمة في العمل وهو في الواقع يكرهه.

علي أن معظم الباحثين يرون أن وجود الإحباط وحده لا يكفي لظهور السلوك العدوانى الذى غالبا ما ترجع أسبابه إلى تفاعل عدد من العوامل البيولوجية والتعليمية ، وتتوقف العوامل البيولوجية على خصائص معينة فى الجهاز العصبى والغدى للفرد وأيضا على الحالة الصحية له ككائن حي ، فقد وجد العلماء مثلا أن حقن الفئران أو القطط أو الثعالب بهرمونات الجنس الذكورية أو تعريضها للام كالحرارة الشديدة أو الضربات البدنية يجعلها تقاتل باستمرار، ومع أن الناس لا يردون على الألم أو أي خبرات أخرى عدوان انعكاسي إلا أنهم يميلون إلى الشعور بالغضب وإيذاء الآخرين خاصة بعد عقاب بدني ، كما أن هناك مثلا أجهزة عصبية معينة في المخ تتحكم في بعض أنواع العدوان ، وقد يحدث تنشيط لهذه الأجهزة تحت تأثير أمراض معينة تسبب أوراما أو تمزقات في أنسجة المخ، كما أتضح أن بعض جرائم العنف ترتبط أحيانا بشرب الخمر أو تناول العقاقير المخدرة أو الإصابة باضطرابات نفسية وعقلية .

أما العوامل التعليمية - كمسبب للعدوان - فيقصد بها تلك العمليات الخاصة بالتنشئة الأسرية والتعلم الإجتماعي المختلفة ، وهي تتضمن ما يتعلمه الطفل من سلوكيات من أبوية ومن زملائه وأصدقائه ومن هم في بيئته الإجتماعية عموما بوسائل التعلم المختلفة كالتعلم بالارتباط الشرطي أو التقليد أو تدعيم سلوكه من الكبار أو الأقران في بيئته ، وقد تؤدي العوامل البيولوجية إلى وجود استعداد فطري عند الطفل نحو العدوان ، ومع هذا فإن خبرات التعلم الأولى هي التي تطبعه اجتماعيا نحو السلوك العدوانى أو بعيدا عنه .

والأبوين هما المصدر الأساسى للتطبيع الإجتماعي لأطفالهما الصغار ، فقد يكون عند الطفل مثلا بسبب العوامل البيولوجية مزاج حاد عنيف واستعداد كبير نحو العدوان ومع هذا يتعلم من الأبوين كيف يضبط سلوكه العدوانى ويوجهه وجهة بناءه ، وقد يتعلم الطفل ما هو عكس ذلك أيضا من الأبوين عندما يدعم سلوكه العدوانى منهما، ومع نمو الطفل يتطبع اجتماعيا من مصادر أخرى - إلى جانب الأسرة - كزملائه أو أقرباءه أو مدرسية وغيرهم من الكبار أو الصغار في بيئته الإجتماعية ، وللطفل ميل كبير إلى التقليد ، فكما يساعده التقليد على تعلم اللغة يساعده أيضا على تعلم الكثير من الإستجابات العدوانية التي يعبر بها عن انفعال

الغضب مثل : الامتناع عن الطعام ، مغادرة الغرفة أو المنزل ، دفع الباب بشدة ، تحطيم الأثاث ، استخدام ألفاظ السباب أو الإعتداء البدني وغير ذلك من أنماط سلوكية تصدر عن الآخرين في بيئته .

ويتعلم الأطفال أيضا عن طريق القدوة بعض الاستجابات العدوانية مما يشاهدونه من وسائل الإعلام المختلفة كالتلفزيون والسينما وألعاب الفيديو ، ومع هذا فالعلاقة بين مشاهدة الطفل للعنف التلفزيوني وظهور سلوكه العدواني هي علاقة معقدة ، فليس كل طفل يري مشاهد العنف التلفزيوني يسلك بعدوانية ، وإنما هناك شروط أخرى لابد من توافرها كي يظهر هذا السلوك .

وسوف نبحث في هذا الفصل دور مشاهد العنف التلفزيونية في نمو السلوك العدواني لدى الأطفال ، وبالرغم من أن معظم البحوث التي سوف نعرضها هنا تركز على مشاهد العنف التلفزيونية إلا أن بعض النتائج التي نناقشها أمكن التوصل إليها من دراسات استخدمت فيها وسائل إعلام أخرى تؤدي نفس الغرض كالأفلام السينمائية والفيديو ، وسوف نضع في اعتبارنا الإجابة عن ثلاث تساؤلات رئيسية هي :

أولا : ماهي الأدلة البحثية التي تبين وجود ارتباط بين مشاهد العنف التلفزيوني والسلوك العدواني ؟

ثانيا : ما هي بالضبط العمليات المعرفية التي تجعل الطفل الذي يشاهد العنف التلفزيوني يسلك - سلوكا عدوانيا ؟ وكيف يحدث ذلك ؟

ثالثا : ماهي الإجراءات التي يمكن إتخاذها للحد من هذه المشكلة ؟ أو كيف يمكن للجهات المسؤولة أو الآباء أن يتدخلوا ليخففوا من تأثير مشاهد العنف التلفزيونية على الطفل كي لا يظهر لديه سلوكا عدوانيا ؟

أولا : الأدلة على علاقة العنف التلفزيوني بالسلوك العدواني :

منذ ظهور التلفزيون منذ حوالي ٥٠ سنة تقريبا أصبح هناك اهتمام متزايد حول آثاره السلبية على عمليات التطبيع الاجتماعي للأطفال ، وأكثر هذه الآثار السلبية خطرا هو السلوك العدواني ، وقد أكدت هستن وزملاؤها Huston et al

(١٩٩٢) - وهي استاذة دكتوراه تعمل في مجموعة " التليفزيون والمجتمع للجمعية الأمريكية لعلم النفس " - علي وجود علاقة بين مشاهد العنف التليفزيونية والسلوك العدواني ، وقد سبق أن توصلت لجان علمية استشارية تابعة للكونجرس الأمريكي وفي المعهد القومي الأمريكي للصحة العقلية إلي ما يفيد بوجود مثل هذه العلاقة، كما أجريت العديد من الدراسات في كندا وبعض البلدان الأوربية في هذا الصدد (باكر وبال Baker & Ball ١٩٦٩) .

ولا يتسع هنا المقام لعرض نتائج هذه الدراسات ، ونكتفي بتقرير ثلاث نقاط أساسية في هذا الشأن : الأولى أنه لا يصح تعميم نتائج الدراسات التي أجريت في معامل علم النفس (أي المعملية) علي مواقف الحياة الطبيعية ، وهي حقيقة معروفة جيدا في علم النفس التجريبي ، أما الثانية فهي أنه يكاد أن يكون هناك اتفاق بين الباحثين علي أن مشاهدة العنف التليفزيوني هي فقط واحدة من بين الأسباب العديدة التي يمكن أن تؤدي إلي السلوك العدواني (مستن وزملاؤها ١٩٩٢) ، أما النقطة الثالثة فهي أن المشاهد المتكررة للعنف التليفزيوني في مراحل الطفولة هي أشد أثرا في ظهور أنماط ثابتة من السلوك العدواني عنه في مراحل النمو الأخرى في حياة الإنسان .

وسوف نقدم في هذا الفصل عرضا مختصرا يبين الدليل علي وجود صلة بين مشاهدة العنف التليفزيوني والسلوك العدواني وذلك بواسطة عدة دراسات استخدمت فيها عينات وطرائق بحث علمية مختلفة، وليست هناك طريقة تعد نموذجية لدراسة هذه الصلة، ولكن مع هذا تميل نتائج الكم الهائل من الدراسات التي أجريت في الثلاثين سنة الأخيرة إلي الإلتقاء عند نقطة واحدة إلا وهي : تأييد الفرض العلمي الذي يقول بأن التعرض المتكرر لمشاهد العنف التليفزيوني يسهل ظهور السلوك العدواني .

١- أدلة من الدراسات التجريبية :

يمكن للباحث في الدراسة التجريبية أو المعملية النموذجية أن يقوم بضبط كمية العنف المشاهد ، بأن يحضر مثلا مجموعتين من الأطفال إلي المعمل : إحداهما تشاهد فيلما تليفزيونيا عنيفا لمدة ٣٠ دقيقة عددا من المرات في الأسبوع ، بينما

تشاهد المجموعة الأخرى في نفس المدة الزمنية أفلاما تليفزيونية ليس بها عنف، هذا مع محاولة المماثلة بين المجموعتين (التجريبية والضابطة) في المتغيرات الأخرى التي يمكن أن تؤثر علي السلوك العدواني كالمستوي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسن وعمل غير ذلك من إجراءات الضبط التجريبي المعروفة في علم النفس لضمان الدقة المنهجية، وقد أظهرت الدراسات التي من هذا النوع علي الدوام أن تكرار رؤية الأطفال والمراهقين لمشاهدة العنف التليفزيوني يترتب عنها زيادة سلوكهم العدواني بصفة عامة (أيفرا 1998 Evra).

ومن المعروف أن السلوك العدواني له أشكال متعددة ، فهناك العدوان اللفظي والبدني والعدوان غير المباشر والخلفة والعدوان نحو الذات ، وتختلف طرق قياس أي من هذه الأنواع حسب ظروف الدراسة ، ويقدر العدوان بصفه عامة في الدراسات التجريبية في معامل علم النفس بوسائل متعددة مثل : شدة إستجابة المفحوص أو عدد الصدمات الكهربائية التي يوجهها نحو خصم ما علي جهاز معين وغير ذلك ، وفي دراسات مشاهد العنف التليفزيوني كانت مجموعة الأطفال التي تعرضت لرؤية هذا العنف توجه عدوانا أكبر نحو الأطفال الآخرين أو الأشياء المادية مثل البلاستيك المنفوخ أو الدمى حيث كانوا يركلونها ويضربونها بشدة أكبر من مجموعة الأطفال التي لم تتعرض لرؤية هذا العنف وذلك عندما يطلب منها ذلك ، وهذا العدوان الذي أبداه الأطفال ليس ببساطة هو مجرد تقليد لما شاهده من عنف لأن الأطفال كانوا يبدون سلوكا عدوانيا يختلف في بعض الأحيان عما شاهده ، هذا بالإضافة إلي أنه قد تبين للباحثين أن رؤية الأطفال للأفلام العدوانية يمكن أن يؤدي عندهم إلي أفكار تتسم بالعنف (أي أفكار ذات مضمون عدواني وأيضاً إلي استجابات انفعالية ترتبط بالسلوك الإنفعالي العدواني ويصحبها تزايد في ضغط الدم الإنقباضي systolic blood pressure هذا بالإضافة إلي أن الدراسات التي أجريت مع الراشدين قد بينت أن كثرة رؤية مشاهد العنف الجنسي قد تثير أيضاً أفكار العدوان الجنسي لديهم مما قد يساعد بدوره علي السلوك العدواني الجنسي والإعتصاب إذا ما توافرت العوامل الأخرى المؤدية إلي هذا السلوك (مالا موث 1989 Malamuth) .



شكل (٧) تقليد الأطفال للسلوك العدواني

٢- أدلة من الدراسات علي المواقف الطبيعية

يمكننا أن نستخلص من نتائج الدراسات المعملية أن مشاهدة العنف التليفزيوني يمكن أن تؤدي إلي تزايد السلوك العدواني لدي المشاهدين، ولكن لا يصح أن تعمم هذه النتائج علي مشاهدة العنف التليفزيوني في المواقف الطبيعية، ويقصد بها

المشاهدة في حياتهم العادية اليومية في المنزل وليس في المعمل ومع هذا فقد استكملت نتائج الدراسات العملية بنتائج الدراسات التي أجريت على المواقف الطبيعية والتي قد أثبتت أيضا وجود علاقة إيجابية بين تكرار مشاهدة العنف التلفزيوني وازدياد السلوك العدواني لدى الأطفال (كومستوك Comstock ١٩٨٠ وايفرا Evra ١٩٩٨) .

وهناك دراستان مثيرتان في هذا الصدد تبيان درجة وجود السلوك العدواني لدى الأطفال قبل وبعد ظهور جهاز التلفزيون ، فقد كانت هناك فرصة لويليامز Williams (١٩٨٦) وزملائها لدراسة سلوك الأطفال في ثلاث مدن كندية كالآتي :

١- مدينة ظلت تستقبل إرسال قناة تلفزيونية واحدة لمدة سبع سنوات هي : يونيتل Unitel .

٢- مدينة كانت تستقبل إرسال عدد محطات تلفزيونية لمدة خمس عشرة عاماً هي : ملتيتل Multitel .

٣- مدينة لم يسبق أن وجد بها جهاز تلفزيوني وكانت علي وشك استلامه هي : نوتل Notel^(١) .

ولم يسبق لمجتمع "نوتل" استقباله للإرسال التلفزيوني لأن موقعه الجغرافي كان قد أعاق هذا الاستقبال ، هذا وقد تم دراسة سلوك أطفال المدارس الابتدائية في المدن الثلاثة قبل دخول الإرسال التلفزيوني مباشرة إلى مدينة "نوتل" وأيضاً لمدة عامين بعد إدخال هذا الإرسال .

(١) في صيف عام (١٩٧٣) كانت هناك مدينة في كندا لم تستقبل إرسالاً تلفزيونياً بسبب وجودها في واد منخفض ، لذا قرر عدد من علماء النفس والإعلام دراسة بعض الجوانب النفسية لأطفال هذه المدينة ، وأطلقوا عليها أسماً لأغراض الدراسة هو "نوتل" واستمرت الدراسة على هذه المدينة فترة ما قبل حصولها على الإرسال التلفزيوني وما بعده لمعرفة الآثار النفسية المختلفة التي ترتبت على مشاهدة أطفالها للتلفزيون ، ومن هذه الآثار : التفكير الإبداعي والتحصيل الدراسي ومهارات القراءة ومخاوف الأطفال والسلوك العدواني وغير ذلك ، وكانت هناك مدينة أخرى مشابهة لمدينة "نوتل" في موقعها الجغرافي ولكن أمكن أن يوجه إليها إرسالاً تلفزيونياً على قناة واحدة فقط ، وأطلق عليها لأغراض الدراسة اسم "يونيتل" .

وقد تم تسجيل السلوك العدواني للأطفال موضع الدراسة عن طريق مدرسيهم وزملائهم وأيضا بواسطة مراقبين تم تدريبهم جيدا لهذا الغرض . حيث قام هؤلاء المدرسون برصد السلوك العدواني للأطفال أثناء لعبهم في فترات الراحة في فناء المدرسة .

وكان من نتائج هذه الدراسة أن أطفال مدينة "ملتيتل" كانوا أكثر الأطفال عدوانية في جميع مراحل الدراسة ، وأطفال مدينة "توتل" أقلها عدوانية ، كما بدأ يظهر لدي هؤلاء الأطفال سلوكا عدوانيا بعد استقبال مدينتهم للإرسال التلفزيوني .

وفي دراسة أخرى لمواقف الحياة الطبيعية قارن فيها "سنترول" Centerwall (١٩٨٩) بين معدلات جرائم القتل في جنوب أفريقيا والولايات المتحدة وكندا قبل وبعد إدخال التلفزيون إلى هذه البلدان ، وقد تبين وجود تزايد في معدل هذه الجرائم ، ويعزو "سنترول" هذا التزايد إلى مشاهد جرائم العنف بالتلفزيون ، حيث أتضح ثبات المتغيرات الأخرى التي يمكن أن ترفع من هذه المعدلات لجرائم القتل مثل : استهلاك الخمر alcohol consumption والحصول على الأسلحة النارية / والظروف الاقتصادية ، كما اتضح لسنترول أن هذا التأثير الخاص بتزايد السلوك العدواني المسبب لهذه الجرائم ينصب على الأطفال وتظهر آثاره في الأغلب بعد مدة، فقد كانت هناك فترة زمنية تراوحت بين ١٠-١٥ سنة بين ظهور التلفزيون وتزايد جرائم القتل .

هذا وبالرغم من ظهور علاقة دالة بطريقة متكررة بين مشاهد الأطفال للعنف التلفزيوني ونمو السلوك العدواني لديهم إلا أن هذه العلاقة أقل بصفة عامة من العوامل الأخرى التي يمكن أن تسبب السلوك العدواني عند الأطفال (مثل عوامل التنشئة الوالدية غير السوية مثلا) ، أما في مرحلة الرشد فلم تكن هناك علاقة دالة بين مشاهدة العنف التلفزيوني والسلوك العدواني لدى الراشدين مما يشير إلى أن الأثر تراكمي لمشاهدة العنف التلفزيوني ، فتكرار مشاهدة الأطفال لهذا العنف يمكن أن يؤدي إلى سلوك عدواني عندهم فيما بعد في مراحل المراهقة والرشد (روزنثال Rosenthal ١٩٨٦) .

٢- أدلة من الدراسات الطولية :

من المعروف أن الدراسات الطولية تجري على عينة من صغار الأطفال ويتتبع الباحث هذه العينة في مراحل النمو التالية ، وقد تبين من هذه الدراسات في

عدد من البلدان المختلفة أن مشاهدة الأطفال الصغار للعنف التلفزيوني يساعد على ظهور السلوك العدواني والسلوك المضاد للمجتمع في مراحل نمو لاحقة ، وقد أمكن التوصل إلى هذه النتيجة مع عزل العوامل الأخرى^(١) إحصائيا والتي يمكن أن تسبب السلوك العدواني مع مشاهد العنف التلفزيونية (باستخدام أسلوب الإنحدار المتعدد multiple regression (هيو سمان وميللر Huesmann & Miller ١٩٩٤) ، كما تبين أن مشاهدة العنف التلفزيوني في مراحل الطفولة فقط هي التي يمكن أن تساعد على نمو السلوك العدواني في مراحل المراهقة والرشد ، وقد ينمي بعض هؤلاء جرائم التقليد copy cat crimes أي يقلدون ما شاهدوه من عنف في الأفلام التلفزيونية أو السينمائية ضد الآخرين ، ويعرف هذا بالتقليد الشاذ bizarre replication .

هذا وقد أجري "كومستوك" و"بايك" Comstock & Paik (١٩٩١) مقارنات وإحصائيات على نتائج ١٨٥ دراسة مختلفة في الثلاثين سنة الأخيرة ووجدوا بأن هناك ارتباطا قويا بين مشاهدة العنف التلفزيوني أو السينمائي ونمو السلوك العدواني عند الأطفال، كما وجد أيضا مثل هذا الارتباط القوي كل من وود وونج وشاشير Wood, Wong, Chacher (١٩٩١) .

ثانيا: كيف يمكن أن تؤثر مشاهدة العنف التلفزيوني على نمو السلوك العدواني عند الأطفال :

قلنا فيما سبق أن مشاهدة العنف التلفزيوني تعد من أحد العوامل التي تساهم في نمو السلوك العدواني عند الأطفال ، وقد اتضح هذا من البحوث المعملية والميدانية وأيضا الدراسات التي أجريت في مختلف الثقافات أو عبر الثقافية cross- cultural ، ومع هذا فقد اقترح كثيرون منهم بوثا وميلز Botha & Mels (١٩٩٠) بأن الأطفال لا يصبحون كلهم عدوانيون بسبب مشاهدتهم لأفلام العنف - بل إن هناك أطفالا أكثر عرضه من غيرهم لأن يظهر لديهم السلوك العدواني عند مشاهدتهم لهذه الأفلام ، وقد أغري هذا الرأي كثير من الباحثين إلى محاولة الكشف

(١) العوامل الأخرى مثل : إيجابيات الطفولة المتكررة وتعرض الأطفال للقسوة والحرمان الشديدين أو تقليدهم للسلوك الإجرامي الصادر من الآباء أو الكبار ، أو وجود عوامل بيولوجية يمكن أن تساعد على هذا السلوك.

عن هؤلاء الأفراد والتعرف علي العوامل البيئية أو الأسرية والمُخصِية التي تسلمد علي تنمية السلوك العدواني عند الأطفال عند مشاهدتهم لأفلام العنف، كما دفعهم أيضا إلي دراسة الوسائل العملية التي يمكن أتباعها للحد من ظهور السلوك العدواني عند الأطفال بسبب مشاهدتهم لأفلام العنف .

علاقة مشاهد العنف التليفزيونية بالسلوك العدواني : من منظور معرفي اجتماعي خاص بمعالجة المعلومات

يري عدد من أصحاب نظريات التعلم أن السلوك العدواني ينتج عن كل من التعلم الفعلي " enactive learning " (الإثابة أو العقاب لسلوك الفرد) أو " التعلم بالملاحظة " observational learning (ملاحظة سلوك الآخرين وآثاره) هيو سمان (Huesmann ١٩٨٨)، وتوضح بحوث باندورا وروس Bandura & Ross ١٩٦١، ١٩٦٣ الرائدة في هذا المجال قوة التعلم بالملاحظة: وهي أن مجرد ملاحظة الأطفال للسلوك العدواني للآخرين قد يدفعهم في ظروف معينة إلي تقليده حتى ولو لم تكن لديهم الفرصة للتدريب علي هذا السلوك أو تلقي تدعيم أو إثابته عنه، ومن المعروف أن التدعيم هو من العوامل الضرورية في تشكيل سلوك الفرد، ومع هذا فقد برزت أهمية التقليد أيضا كمبدأ أساسي في هذا التشكيل لسلوك الفرد^(١)، والطفل الذي يقلد سلوك النماذج العدوانية يزداد تقليده لها عندما تصادف هذه النماذج تدعيما، ويقل اقتداؤه بها عندما تتعرض إلي عقاب، وعلي هذا فالتدعيم يعتبر هاما للتعلم حتى وأن تحقق للنماذج السلوكية التي يقلدها الطفل.

ويرى علماء النفس المعرفي اليوم إننا نتعلم كثيرا من تصرفاتنا في المواقف المختلفة عن طريق تخزين صور نمطية Scripts لهذه التصرفات في ذاكرتنا، وتزداد هذه الصور ثباتا عن طريق التدعيم والقوة.

١- الصور النمطية scripts :

من اعجازات الله سبحانه وتعالى في العقل البشري هو ذاكرة الإنسان والتي من وظائفها أنها تشكل قاعدة البيانات الأساسية لهذا العقل database، كما تحتوي

(١) نظرية التعلم بالقوة في الفصل الأول .

لذاكرة علي كم هائل من المعلومات المتعددة والمتنوعة، ويرى علماء النفس المعرفي أنه يمكن تقسيم هذه المعلومات إلي نوعين رئيسيين :

١- معلومات عن الأشياء وهي معلومات بيانية أو تقريرية declarative knowledge ومن أمثلتها ما نعرفه من صفات أو خصائص أو بيانات عن الناس والأشياء والبلدان والأحداث ، ونحن نخزن في ذاكرتنا ما نعرفه جيدا من هذه المعلومات علي شكل صور أو نسخ نمطية personal scripts وتساعدنا خبراتنا السابقة والمتكرر عادة علي اكتساب هذه الصور النمطية ، ومن أمثلة الصورة النمطية التي نحتفظ بها في ذاكرتنا : الصديق المخلص ، المراهق الطائش ، النشال ، الشرطي ، الأب المستبد ، الحماة وغير ذلك من شخصيات حيث نري إن لكل منها صفات نتذكرها جيدا^(١) .

٢- معلومات عن التصرف أو السلوك أو فعل الأشياء : وهي معلومات إجرائية procedural knowledge وتتضمن كيفية الأداء الفعلي لشيء ما مثلا : كيف نركب الدراجة أو نقود السيارة أو نتكلم في موضوع ما أو نذهب إلي عملنا وغير ذلك من أعمال كلما أديناها أو شاهدنا الآخرين يؤديونها أكتسبنا لها أيضا صورا نمطية في ذاكرتنا تسهل لنا هذا الأداء ، ويتم تخزين هذه المعلومات في الذاكرة علي شكل رموز معينة ، وعادة ما تتضمن هذه الصور النمطية تسلسل من التصرفات والأفعال والأحداث المعروفة لنا جيدا، ويصنف "شانك" و"أبلسون" Schank & Abelson (١٩٧٧) هذه الصور النمطية إلي نوعين هما :

(١) الصور النمطية الموقفية : situational scripts وهي صور نمطية لمجموعة متسلسلة من أداءات الفرد في موقف اجتماعي معين يتضمن تفاعلا اجتماعيا واشخاصا لكل منهم دور معروف أو يتأثر بالموقف بطريقة معينة .

(١) فقد يري البعض مثلا أن الصديق المخلص هو شخص ودود، صادق، حريص علي مصلحة من يصادقه يحافظ علي أمانته كريم معه وغير ذلك من صفات، والمراهق الطائش مثلا قد تكون صورته النمطية في ذاكره البعض أنه: شاب صغير السن، متقلب متسرع في تصرفاته واحكامه يميل إلي التباهي بالتحدث عن مغامراته محب للهو والمرح.. وقد يري البعض مثلا صفات أخرى ، حيث تختلف الصور النمطية من شخص لآخر .

(٢) الصور النمطية الوظيفية أو الأدائية instrumental scripts: وتتلّص

بسلوكنا المعتاد لإتجاز عمل ما معين مثلاً : طهي طعام معين اعتدنا طهيّه ، أو اللحاق بحافله ، أو قيادة السيارة أو الدراجة وغير ذلك .

ويلاحظ أن هذا التقسيم ليس حاسماً بل قد يكون هناك بعض التداخل بين كل منهم والآخر ، فقد تحتوي الصور النمطية للمواقف أيضاً على صور نمطية للأشخاص الذين يتضمنهم الموقف .

وعلي هذا فنحن - نتيجة لخبرائنا السابقة ومشاهدائنا للآخرين - نحتفظ في ذاكرتنا بالكثير من هذه الأنواع الثلاث من الصور النمطية للاستفادة منها في أدائنا لأعمالنا المعتادة، حيث نسترجع الصور الملزمة لما نواجهه من عمل أو موقف ما كلما تطلب الأمر ذلك، ويقترح شانك وابلسون (١٩٧٧) صوراً نمطية لموقف تناول الطعام بالمطعم ، وتشمل الوقائع والأحداث والتصرفات الخاصة بهذا الموقف مرتبة في ذاكرتنا بطريقة رمزية ذات شفرات codes معينة ، وهي تشمل الآتي :

(أ) شخصيات : زبون ، جرسون ، مدير المطعم ، الشخص المكلف باستلام النقود من الزبائن (أو المحاسب) ، الطاهي .

(ب) المواقف : ويمكن أن تتضمن مثلاً هذه المشاهد :

المشهد (١) الدخول في المطعم : الزبون يذهب إلى المطعم ، الزبون يبحث عن منضده خالية للجلوس عليها ، ويمكن أن يجدها بنفسه أو بمساعدة الجرسون إذا ما كان المحل مزدحماً .

المشهد (٢) طلب الطعام : يتلقى الزبون قائمة الطعام، الزبون يقرأها ويقرر ماذا سيأكل، يطلب الجرسون، يري الجرسون الزبون، يسير نحو منضدته ويقف عندها، يطلب منه الزبون ما يريد من الطعام ، الطاهي يعد الطعام .

المشهد (٣) تناول الطعام : بعد فترة قصيرة من الوقت يحضر الجرسون الطعام من الطاهي، يأكل الزبون الطعام .

المشهد (٤) الخروج من المطعم : يسأل الزبون عن الشخص المكلف بالمحاسبة ، يحضر هذا الشخص إلى الزبون ، يأخذ ثمن الطعام ، يغادر الزبون المطعم .

وهكذا نحن نحفظ في ذاكرتنا بتصور نمطي ذاتي لمحتويات المواقف الخاصة بأعمالنا ، وسلوكنا يتم في هذه الأعمال وفقا لإسترجاعنا لعناصر الموقف كما هو في الصور النمطية الموجودة في ذاكرتنا . كذلك الطفل يحتفظ في ذاكرته بصور نمطية لما اعتاد أن يؤديه من أعمال في مواقف الجد أو اللعب مثل : أعداده لكتبه وملابسه وذهابه إلى المدرسة أو لعبه مع زملائه ، وردود أفعاله لتصرفاتهم معه فإذا اختطف مثلا زميله منه شيئا أثناء اللعب في فناء المدرسة أو ضربه رد عليه بتصرفات يعرفها جيدا ولها صور نمطية في ذاكرته.

والخلاصة أن علماء النفس المعرفي يقولون بأن هذه الصور النمطية تساعدنا علي أدائنا للكثير من تصرفاتنا الإرادية المعتادة في المواقف الإجتماعية، فباسترجاعنا لأحداث الموقف الإجتماعي (من سلوك وتوقعات عن تصرف الآخرين) من ذاكرتنا نقدم علي السلوك الذي نراه مناسباً، وكثيراً ما يتم هذا الإسترجاع بطريقة آلية وفورية، كما أن هذه الصور النمطية قد توجه أحيانا طريقة معالجتنا للمعلومات الجديدة التي نتلقاها، فنحن نميل عادة إلى الإحتفاظ بالمعلومات الجديدة التي تتفق أو تؤيد الصور النمطية الموجودة لدينا ، وقد نتجاهل أو نحرف كل ما هو غير مناسب لها .

مشاهد العنف التليفزيونية ونظرية الصور النمطية : *scripts theory*

جلس الأصدقاء العاطلين الثلاثة أما الشاشة الفضية يتابعون أحداث الفيلم الأمريكي المثير الذي يقدم مغامرات عصابات المافيا، غادروا السينما وهم مشدوهين، اعترأهم الصمت .. أحداث الفيلم لعبت برؤوسهم، كل واحد منهم تخيل نفسه بطلا يستطيع أن يهزم مائة رجل بقبضة يده، جلسوا علي مقهى يحتسون الشاي وجيوبهم فارغة من المال، شعروا بحاجتهم إلى التدخين لكنهم لا يملكون شراءه ، خرج أحدهم عن صمته والقي بفكرته علي زملائه التي لم تكن جديدة عليهم فقد سبق أن لجأوا إليها عدة مرات .

خرجوا إلى طريق "ثاني" اشار أحدهم إلى سيارة "ميكروباس" محمله بالركاب ، ركبوا معهم ، لم تمضي لحظات حتي اشبهروا أسلحتهم البيضاء في وجوه الركاب الذين استسلموا للرعب ، أمرهم اللصوص الثلاثة بإخراج ما معهم

من أموال ومصوغات، حاول أحد الركاب التفاهم معهم فنال طعنه في ذراعه، ثم تركوا السيارة بعد أن سرقوا ركبائها .

أدى كل من هؤلاء المجرمين الثلاثة مهمته أو دوره في الجريمة - وكأنه يحفظه أو كما يؤدي أي شخص ما عملا أو مهنة وظيفية - حيث تمت تصرفاتهم على خطوات أو مراحل متتالية في موقف اجتماعي تضمن أشخاصا وتفاعلات من نوع معين ، ويمكن القول بأن كل من هؤلاء المجرمين الثلاثة كان قد احتفظ في ذاكرته - وفقا لجرائمه السابقة المشابهة - بصور نمطية تتضمن سلوكه فيما يتعلق بدوره في الجريمة ، والأشخاص المفترض وجودهم في الموقف كزملائه أو الضحايا وأيضا توقعاته عن تصرفاتهم وردة علي هذه التوقعات ، فمثلا عندما أعترض أحد الركاب أو حاول التفاهم معهم تلقى طعنه أسكته ، وكان الجاني الذي طعنه حاسب ألي مبرمج علي نظام تدميري معين .

ويري علماء النفس المعرفي أن كثيرا من الصور النمطية للمواقف يكتسبها الإنسان في مراحل مبكرة من حياته من خلال عمليات متعددة كمشاهدته للأخرين أو التعلم بالقدوة أو تدعيم سلوكه أو نتيجة كثرة تعرضه لمواقف متشابهة وهم يرون كذلك أن كثرة رؤية مشاهد العنف التلفزيونية أو السينمائية يمكن أن تؤدي - في ظروف معينة - إلي تكوين صور نمطية للمواقف العدوانية في ذاكرة بعض الأطفال، أي تكوين أفكارا عن نوع الحركات وتسلسلها التي يمكن ادائها عند الاعتداء علي الآخرين، وهي تخزن في ذاكرة الطفل إلي أن يحين الوقت الذي يستخدمها فيه كي يحل بها مشكلاته، وقد توجه سلوكه العدواني إذا ما اضطرت به الظروف لذلك . ويقول "أفرا" Evra (١٩٩٨) " أن كثيرا من المشاهدين لا يتدربون علي العنف في حياتهم الواقعية ومع هذا فقد يكون بعضهم صورا نمطية العدوان بسبب رؤيتهم فقط لمشاهد العنف التلفزيونية ، وهناك شواهد متعددة علي هذا، وقد استخدم الأطفال الأمريكيون الأسلحة النارية في قتلهم زملائهم في المدرسة، ولعل من الأسباب التي أدت إلي هذه الجرائم انتشار الأسلحة النارية هناك إلي جانب كثرة مشاهد العنف التلفزيونية التي يستخدم أبطالها الأسلحة النارية ، ويلاحظ كذلك أن بعض الأطفال الذين يكونون صورا نمطية للعدوان يحافظون عليها عن طريق

للجوء إلى أحلام اليقظة^(١) ، إذا يتصورون انفسهم أبطالا لا مثيل لهم كأبطال المواقف العدوانية التي يشاهدونها، ويكثر هذا عادة بين الأطفال الذين يتخنون من أحلام اليقظة وسيلة للتعويض الخيالي بسبب ما يشعرون به من نقص ، وقد تبين من دراسة أجريت علي عدد من البلدان هي :

بولندا وفنلندا وأستراليا والولايات المتحدة أن أكثر الأطفال مشاهده للبرامج التلفزيونية التي تتميز بالعنف هم أيضا أكثرهم لجوءا إلى أحلام اليقظة ، وكانت موضوعات هذه الأحلام تدور حول العدوان والأعمال البطولية ، كتصور الطفل نفسه مثلا بطلا مغوارا ينقذ الضعفاء المظلومين ويصرع المجرمين الأشرار .

ولكن كيف يسترجع الطفل هذه الصور النمطية المخزونة في ذاكرته لمواقف العدوان (و الناتجة عن تكرار مشاهدته لمواقف العنف التلفزيونية) كي يستخدمها ؟ أي كيف يسلك بطريقة عدوانية مشابهة لهذه الصور ؟

هنا يرى "هيوسمان" (١٩٨٦) وأيضا بيركويتز Berkowitz (١٩٨٤) أنه ليس كل الأطفال الذين يشاهدون برامج العنف التلفزيونية يحتفظون في ذاكرتهم بالصور النمطية لمواقف العنف أو يلجأون إلى السلوك العدواني في حياتهم الإجتماعية بل أن هناك عددا من العوامل التي يتوقف عليها حدوث هذا الإسترجاع وهي أيضا نفس العوامل التي تساعد علي تكوين الصور النمطية ، ويمكن تقسيمها إلى عوامل موقفية بيئية ، وهي المتعلقة بالبرامج التلفزيونية أو بيئة الطفل المنزلية ، وعوامل شخصية في الطفل نفسه مثل سماته الشخصية وقابليته للانفعال وتفسيره لمشاهد العنف التلفزيونية ، هذا ويجب أن نعي جيدا أن الأطفال المهيئين للعدوان بسبب تفاعل الجوانب البيولوجية والتعليمية التي عرضناها في بداية هذا الفصل هم أكثر عرضه من غيرهم إلى تكوين الصور النمطية للعدوان . وسوف نناقش هنا العوامل التي تساعد علي تكوين الصور النمطية واسترجاعها لدي هؤلاء الأطفال :

(١) أحلام اليقظة وتخيل العدوان أحد الردود الفعلية التي يلجأ إليها الطفل بسبب ما يشعر به من احباط .

أ - العوامل الموقفية والبيئية :

وتنقسم هذه العوامل بدورها إلى ثلاثة عوامل فرعية يمكن أن تؤثر على ظهور السلوك العدوانى عند الطفل هي : مدى بروز مشاهد العنف في البرنامج التلفزيونى والعوامل المنزلية الأسرية ثم العوامل الخاصة بتأثير وجود الآخرين أثناء هذه المشاهد .

١ - مدى بروز مشهد العنف التلفزيونى :

أن انتباه الطفل لمشهد العنف التلفزيونى ضرورى كي يحتفظ بصورة من هذا الموقف في ذاكرته، وقد بينت البحوث أنه كلما كان مشهد العنف واضحا ومتميزا بالحركة والضجيج والمناظر والاصوات الملفتة للنظر كان هذا أكثر لفتا لانتباه الطفل، هذا بالإضافة إلى أن نطق الكلمات المعبرة عن العدوان في البرنامج يمكن أيضا أن يثير ما يرتبط بهذه الكلمات من أفكار وسلوك وانفعال عند الطفل، ويلاحظ هذا مثلا في مسلسل تلفزيونى أمريكى يعرف ببرنامج باتمان Batman يتميز بمشاهد العنف ، وهو حافل بكلمات مسموعة وايضا مرئية بحروف كبيرة ملونه مثل أسحق، أضرب ، الكم SOCK. BAM, POW .

هناك من يقول بضرورة وجود قدر معين من المشاهد العدوانية في أي فيلم سينمائى أو تلفزيونى كي يجذب انتباه الأطفال ولكن اتضح من الدراسات أن خصائص البرامج التلفزيونية وما تتميز من حركة وتأثيرات سمعية وبصرية هي التي يمكن أن تشد انتباه الأطفال بصرف النظر عن محتواها، كما أن أصوات الأطفال والنساء والموسيقى الجميلة وكذا المناظر الهزلية المضحكة يمكن أن تحافظ أيضا على اهتمام الأطفال بالبرنامج التلفزيونى (هستن ورايت & Huston Wright ١٩٨٩، أيفرا ١٩٩٨ Evra) .

٢ - البيئة الأسرية :

قد يكون للأباء المجرمين العدوانيين أيضا أبناء جانحون عدوانيون وبخاصة إذا ما كان هؤلاء الآباء متسلطين، فالآباء العدوانيون المغرورون أو المتكبرون الذين يميلون إلى فرض نظامهم على الأبناء بالقوة- يعلمون أبناءهم (دون أن يدروا) أساليبهم التعسفية في حل المشكلات، ويقول "دافيز" Davis (١٩٤٤) إن

الأباء الذين يعاقبون أبناءهم بعنف هم في واقع الأمر يعلمون أطفالهم كيف وما هي الظروف التي يمكن فيها للشخص أن يعتدي، فمثل هؤلاء الأباء قدوة لأبنائهم، إذ قد يتعلم الأطفال منهم التسلطية عن طريق التقليد، ويفضلون اللجوء إلي القوة كي يشبعون حاجاتهم ودوافعهم .

هذا بالإضافة إلي أن البيئة الأسرية التي يشبع فيها السلوك العدوانية تهيئ الفرصة للطفل كي يكون ويحتفظ في ذاكرته بصور نمطية للمواقف العدوانية aggressive scripts، وإلي جانب هذه الصور النمطية يتشرب الطفل أيضا معايير وسلوك الجماعة التي يعيش فيها والتي تقوم علي العدوانية، فقد يري مثلا أن كل فرد في هذه الجماعة يسلك بعدوانية كي يحصل علي حقوقه أو يدافع عن نفسه، وهذا المناخ الأسري يسهل من تكوين الصور النمطية العدوانية عندما يشاهد الطفل المواقف العدوانية في برامج التلفزيون ، لأن هذه المواقف تتفق مع واقع حياته وأفكار الجماعة التي يعيش فيها، والتي تفضل العدوان كوسيلة مثلي للتعامل الناجح مع الآخرين، علي أن هذا الأسلوب يجعل الطفل مكروها من زملائه بالمدرسة مما لا يساعده علي التكيف الاجتماعي الناجح ويضر بصحته النفسية (هيوسمان وزملاؤه ١٩٨٤) .

٣ - تعليقات الآخرين أثناء مشاهدة الطفل للتلفزيون :

اتضح من الدراسات أن رد فعل الطفل لمشاهد العنف التلفزيونية يتوقف علي تصرفات الأشخاص الذين يجلسون معه أثناء رؤيته لها : فإذا ما وجد استحسانا أو تشجيعا من هؤلاء الأشخاص علي هذه المشاهد استحسنها هو الآخر ووجد فيها شيئا مطلوباً ، وقد يشمنز منها إذا ما أظهر الآخرون استياءهم ، وحتى الكبار قد يتأثرون أيضا بتعليقات الآخرين ، ففي دراسة لطلاب أحدي الجامعات كانوا يشاهدون فيها مباراة للملاكمة قسموا فيها مجموعتين : مجموعة كان يجلس معها أفراد صامتون أثناء المشاهدة وأخري جلس معها أفراد أظهروا حماسا وابدوا تعليقات تؤيد العدوان مثل : " أديله كمان " "أضرب" "هايل"، وبعد هذه المباراة تم قياس درجة السلوك العدواني في المعمل عند كل من هاتين المجموعتين، وقد تبين أن المجموعة التي تعرضت لسماع التعليقات المؤيدة للعدوان كانت تسلك بعدوانية أكثر من الأخرى (أفرا ١٩٩٨ Evra) .

وكما تزيد تعليقات الآخرين من عدوانية الطفل أثناء مشاهدته لبرامج العنف التلفزيونية فإنها يمكن أيضا أن تقلل من هذه العدوانية ، فإذا ما أظهر الراشدون استياءهم من أساليب العنف التي تتبعها شخصيات القصة التلفزيونية وأوضحوا للطفل أن العدوان والشر لا يفيدان في حل المشكلات ، قد تأثر الطفل بالمشهد العنيف ، وتعرف عملية التعليق المفيدة هذه من الكبار التلطيف mediation .

وقد أجريت دراسة عن تأثير عرض مسلسل أمريكي يعرف بـ باتمان Batman تتسم أحداثه بالعنف والقتل والتخطيط علي عينة من الأطفال تراوحت أعمارهم من ٥ - ١٠ سنوات ، وقد قسم الأطفال مجموعتين : أحدهما تلقت تعليمات محايدة عن وقائع المسلسل ، أما الأخرى فقد تلقت تعليقات توضح وقائع المسلسل وتحبذ الخير وتنبذ الشر ، وتفيد بأنه من الخطأ الإعتداء علي الآخرين ، وقد اختلفت هذه المجموعة التي استمعت إلي نصائح الكبار عن المجموعة الأولى في أنها لم تحبذ الضرب وإيذاء الآخرين كوسيلة لحل المشكلات (كوردن وبولز Corder & Bolz ١٩٨٠) .

(ب) العوامل الشخصية :

يمكن تقسيم هذه العوامل إلي عوامل أخرى فرعية هي: عوامل تتعلق باستعدادات الطفل وسماته الشخصية وأخرى خاصة بتفسيره للموقف ثم عوامل تتعلق بجنس الطفل، ويمكن بيانها كالآتي :

١- الاستعدادات الشخصية للطفل :

يرى الباحثون أن الأطفال الذين لديهم استعدادات جينية predispositions genetic للسلوك العدواني هم في العادة أكثر من الأطفال العاديين ميلا إلي تكوين الصور النمطية العدوان، وتزداد فاعلية هذه الاستعدادات عند الطفل إذا ما وجدت الظروف البيئية المشجعة علي العدوان - كما ينادي بهذا أصحاب نظرية تفاعل البيئة والوراثة genotype-environment interaction theory - حيث ينقل الآباء السلوك العدواني إلي أطفالهم بفعل الوراثة والبيئة معا ويشب الطفل ميلا للأعتداء والتشاجر والانتقام والمساكسة والتحدي .

كما أن اتجاهات الطفل نحو العدوان هامة في تقرير مدى تأثره بمشاهدة العنف التلفزيوني وتكوين الصور النمطية الخاصة بالعدوان واسترجاعها من ذاكرته وكذا استخدامها ، فإذا ما اقتنع طفل ما مثلاً بأن السلوك العنيف كالذي يراه بالتلفزيون هو التصرف المناسب للتغلب علي العوائق أو حل المشكلات - فإنه سوف يكون الصور النمطية لهذا السلوك في ذاكرته ويستخدمها عند مواجهته موقف صراع مع الآخرين .

وفي دراسة أجراها "ديلوتي" Deluty (١٩٨٣) علي عينة من الأطفال العدوانيين اتضح له فيها أن هؤلاء الأطفال يعتبرون أن العدوان هو أفضل الحلول في صراعهم أو حل مشكلاتهم مع الآخرين ، فالشخص الذي يحل مشكلاته بالعنف هو في رأيهم شخص : قوي ، حكيم ، شجاع ، ناجح ، بينما كان يراه الأطفال غير العدوانيين أنه شخص : أهوج ، غير عاقل ، غير ناضج ، أحمق ، كما أقر الأطفال العدوانيون أنهم يستطيعون بالقوة أبعاد الآخرين عن طريقهم وأن يكسبوا بهذه الوسيلة احترام زملائهم، والأطفال العدوانيون أكثر تصديقا لأفلام العنف من زملائهم غير العدوانيين .

٢- تفسير المشهد العنيف :

يلعب النمو المعرفي دوراً هاماً في عملية معالجة المعلومات وقدره الطفل علي فهم وتفسير المشهد العنيف ، وكلما كان الطفل صغيراً قلت قدراته علي تفسير التصرفات والمواقف وإدراك السلوك المناسب اجتماعياً ، فالأطفال الصغار مثلاً لا يستطيعون أن يقيموا أي موقف ما من عدة زوايا أو جوانب ، فقد يري بعضهم أن الشخص العدوانى الذي يتصرف بعنف أنه علي حق ، ولأن قدراتهم المعرفية لا تمكنهم أحياناً من التمييز بين الواقع والخيال - فهم أكثر اعتقاداً من غيرهم من الأطفال الأكبر سناً بأن ما يرونه من مشاهد عنف ما هو إلا مواقف حقيقية ، كما أن بعضهم قد يتوحد أحياناً مع الشخص المعتدى، أي يتخيلون أنفسهم وكأنهم أبطال مواقف العنف التي يشاهدونها ويقلدون هؤلاء الأبطال الخياليين في حركاتهم وملابسهم دون وعي منهم بذلك، وهذا الإعجاب يساعد إلي حد ما علي تكوين الصورة النمطية لمواقف العدوان وتخزينها واسترجاعها .

ومما يسهل تكوين هذه الصور النمطية عند هؤلاء الأطفال الصغار أنهم لا يقدرون تماما عواقب السلوك العدواني أو خطورته، وهكذا بالنسبة للأطفال الكبار ضعاف العقول ، فكل من هاتين الفئتين من الأطفال صغار السن أو ضعاف العقول لا يستطيعون تمييز الأخطار .

هذا ويؤكد "لين" وزملاؤه Lynn et al (١٩٨٩) وأيضا "افرا" (١٩٩٨) ازدياد السلوك العدواني عند الأطفال منخفضي الذكاء مع كثرة رؤيتهم لمشاهد العنف وأنهم أكثر عرضة لتكوين هذه الصور النمطية العدوانية من الأطفال الأذكى ، لأن هؤلاء الأطفال الأذكى يحللون موقف المشهد التليفزيوني العنيف من عدة أبعاد وهم يدركون جيدا عواقب التصرفات العدوانية ، ولا يتعرضون للأغراء بسهولة كالأطفال الأغبياء . علي أن هناك حدودا لتأثر الأطفال ضعاف العقول بمشاهد العنف التليفزيونية، ففي حالات التخلف العميق أو البله قد لا يفهم الطفل محتوى المشهد التليفزيوني العنيف بالمرء وبالتالي لا يستطيع أن يكون صورا نمطية عدوانية له ولا لغيره من المشاهد، أما في حالة التخلف العقلي البسيط ففيها يميل الطفل أيضا إلي الاعتقاد بأن المشهد واقعي ، وهذا الاعتقاد من شأنه أن يسهل تكوين الصور النمطية العدوانية .

وقد تؤثر الحالة الإنفعالية علي انتباه الطفل نحو المشهد العنيف ، فالطفل الذي يشعر مثلا بالإحباط أو الذي يعتريه انفعال الغضب عندما يري هذا المشهد قد يركز انتباهه علي نطاق ضيق من المثيرات المتضمنة فيه وبخاصة تلك المرتبطة بموضوع انفعاله كالعراك نفسه أو القتال ، وهو لذلك لا يهتم بالعوامل الأخرى التي أدت إلي الموقف العدواني أو التي ساعدت علي أنهائه، وهذا التركيز من شأنه أن يساعد علي تكوين صور الموقف العدواني واختزانها في ذاكرته .

٢ - الجنس :

يفضل الأولاد مشاهدة برامج العنف عادة أكثر من البنات ، وهم يثارون أحيانا عندما يشاهدون هذه البرامج بعكس البنات اللاتي قد يشعرن ببعض الخوف أو الحزن أو يعرضن عن المشاهدة ، ومع أنه قد تبين في بعض الدراسات أن كلا من البنين والبنات يزدون من سلوكهم العدواني عقب رؤيتهم للمشاهد التليفزيونية

العنفية - إلا أنه قد اتضح أيضا من دراسات أخرى أن الأولاد فقط وليس البنات - هم الذين يزداد لديهم السلوك العدواني عقب رؤيتهم لهذه المشاهد (جوي وزملاؤه Joy et al ١٩٨٦) .

ويري الباحثون أن هناك عددا من الأسباب توضح لماذا يتأثر الأولاد أكثر من البنات بمشاهد العنف التليفزيونية منها :

أن التصرفات العدوانية العنيفة عادة ما يقوم بها الذكور في هذه المشاهد وقلما تتم بمعرفة الإناث اللاتي عادة ما يكن ضحايا لهذه التصرفات ، والأولاد المشاهدون يتوحدون عادة بالذكور ، هذا بالإضافة إلي أن الأولاد هم عادة أكثر اندفاعا وأقل ضبطا لذواتهم من الإناث في تصرفاتهم (أيفرا ١٩٩٨) .

ثالثا : الإجراءات التي يمكن إتخاذها للحد من هذه المشكلة :

وقبل أن نوضح هذه الإجراءات نؤكد علي أن مشاهد العنف التليفزيونية هذه هي فقط أحد عوامل نمو السلوك العدواني أو نمو الصور النمطية للعدوان، فإذا ما كان أفراد الأسرة مثلا يتصرفون دائما بعدوانية فلن يفيد الأقلال من تعرض الطفل لهذه المشاهد، بل يجدر الأهتمام في هذه الحالة بالإقلال من سلوك الأسرة العدواني لأن أفرادها هم النماذج العدوانية التي يقلدها الطفل، وعموما يمكن حصر هذه الإجراءات في الأتي :

١- الإدارات الإعلامية :

من الواضع أنه كي يقل تعرض الأطفال للأفلام التي تحتوى علي مشاهد العنف التليفزيونية يجب تخفيض أنتاج هذه الأفلام أو الحد منها، ولكن يري ارون Eron (١٩٨٦) أن هذا غير ممكن لأن هذه الإدارات في بعض الدول غير واثقة تماما بأن مشاهد العنف التليفزيونية هي المسئولة عن سلوك الأطفال العدواني، بالإضافة إلي أن هذه المشاهد تساعد علي جذب الجمهور نحو البرامج أو الأفلام التليفزيونية التي تتضمنها، ومع هذا فقد كانت هناك بعض صيحات التحذير من مشاهد العنف التليفزيونية في بعض الدول الأوروبية وكندا والولايات المتحدة للإقلال من جرائم العنف التي انتشرت في هذه البلدان، وقد وجهت هذه الصيحات إلي الحكومات والمسؤولين عن صناعة أفلام العنف التليفزيونية.

كما طالب بعض المفكرين بأن يكون هناك تحذيرات من المذيعين إلى الجمهور قبل عرض هذه الأفلام تفيد بأنه يمكن أن تؤدي إلى سلوك عدواني أو إلى إزدياد هذا السلوك عند الأطفال (وذلك على غرار التحذيرات الخاصة بإعلانات السجائر والتدخين، ويستثنى من هذه التحذيرات أفلام الكارتون العنيفة الخاصة بالأطفال لأنها ليست لها مثل هذه الأخطار.

ولعل من أبرز أمثله غضب الناس على أفلام العنف التلفزيونية أنه قد وقع ما يزيد عن مليون شخص في كندا على التماس موجه إلى الحكومة لإصدار قانون يحد من هذه الأفلام ونتيجة لذلك صدرت هناك بعض القوانين عام (١٩٩٣) بالآتي:

(أ) منع مشاهد العنف التي ليست لها ما يبررها أو غير الضرورية في الأفلام (وكانت تشكل تقريبا ٧٠% من جملة مشاهد العنف التلفزيونية) والتي إذا حذفت من أحداث الفيلم فلن يتأثر ، أي يمكن الاستغناء عنها .

(ب) منع البرامج التي بها مشاهد عنف ضد النساء أو الأقلية .

(ج) وضع بعض المبادئ فيما يتعلق ببرامج الأطفال منها : إلا يكون العنف هو الوسيلة الأساسية لحل المشكلات، ويجب أن يوضح للأطفال عواقبه الضارة.

وقد تشكلت لجنة من اتحاد المذيعين الكنديين للتأكد من تطبيق هذه المبادئ واحترامها ، وكان من سلطاتها منع تجديد تراخيص الشركات التلفزيونية التي لا تراعي هذه المبادئ ، ومع هذا فقد استأعت شركات صناعة الأفلام التلفزيونية من هذه القرارات واعتبرها انتهاكا لحقوقها في حرية الإنتاج ، وأدعت أن الأسرة هي المسئولة عن السلوك العدواني للطفل وليست مشاهد العنف التلفزيونية (Harris ١٩٩٣) .

٢- الأبناء :

مهما اتخذت الحكومة أو شركات صناعة الأفلام التلفزيونية من إجراءات للحد من مشاهد العنف التلفزيونية فإن هناك مسؤولية تقع على عاتق الأباء للحد من أضرار هذه المشاهد، فيجب عليهم مثلا عندما يجلسون مع الأبناء أثناء عرضها أن يظهروا عدم استحسانهم للعنف ويبينون أنه غير واقعي لحل المشكلات ويقترحون الأساليب الفعالة لحلها .

وهناك من الآباء من يلجأ إلى تحديد الساعات التي يجلس فيها الأطفال الصغار أمام التلفزيون ، ولكن هناك أيضا من يري منهم أن في هذا التحديد نوع من التسلط الأبوي الذي عادة ما يترك آثارا سلبية علي الطفل ، منها احساسه بتقييد حريته وبازدياد السيطرة عليه من جانب الآباء ، لذلك فمن الأفضل أن يتيح الأبوين للطفل الفرص الكافية للعب والأنشطة الترويحية الأخرى وفي ذلك تحديد بطريقة غير مباشرة للساعات التي يجلس فيها أمام جهاز التلفزيون ، وذلك بالإضافة إلى أن لعب الأطفال يساعدهم علي تنمية قدراتهم الاجتماعية علي التفاعل مع الأقران والتغلب علي مشاعر الإحباط كما سنوضح هذا في فصل اللعب والتلفزيون .

ويقول كيوبي (١٩٩٦) " إن هناك من علماء النفس من يؤيد بعض الآباء الذين يروا أن تدخل الأبوين للحد مما يشاهده الطفل في التلفزيون عملا تحكيميا لا مبرر له ، ويعتقد هؤلاء العلماء أن التلفزيون ليس بالشئ الخطر كالنار مثلا أو المياه العميقة التي يخشى علي الطفل منها ، وهم ينتقدون كل إتجاه معاصر يدعو إلى مراقبة البرامج التلفزيونية حتى لا يتأثر بها الأطفال .

ويرون في هذه المراقبة مبالغة في تصوير خطوره التلفزيون ويستشهدون ببعض الدراسات القديمة التي أجريت علي المراهقين والشباب " ويستطرد كيوبي " ويمكنني الرد علي هؤلاء وعلي الآباء الذين يقولون بأنهم قد شاهدوا كثيرا من أفلام العنف وهم صغارا ومع هذا فلم يتأثروا أو يتعرضوا لأي ضرر نفسي بهذه النقاط :

١- ربما يكون هؤلاء الآباء قد تأثروا بالفعل بمشاهد العنف دون أن يدروا ثم تبدل لديهم هذا التأثير أو الإحساس فيما بعد desensitized أيضا بطريقة غير معروفة.

٢- أن أفلام العنف التي نشاهدها اليوم ويراها أطفالنا تفوق بكثير في عنفها وبشاعتها ما كان يعرف من أفلام عنف من ١٥-٢٠ عاما مضت في التلفزيون أو في دور السينما، فهناك حاليا مثلا مشاهد تقطع فيها أجسام الناس أو تفصل فيها رؤوسهم ويتم عرضها بحركات بطيئة وبطريقة

تفصيلية ودقيقة بحيث تبعث علي الإزعاج ، ومشاهد أخري كالقتل الجملي الذي تم في بعض الحروب الحقيقية للنساء والأطفال ، وفيها تحاول النساء الهرب ومن في حالات هلع شديد ولكن دون جنوي .

٣- تعرض أيضا الأخبار أحيانا مشاهد حيه لعمليات القتل والتدمير والتي قد تسبب الخوف لبعض الأطفال ، ومن هذه المشاهد مثلا خطف رجل يدعي "بولي كلاس" من كاليفورنيا وقتله وتمثيل الجناء بجثته ، وذبح سيده تدعي "ديانا سميث" لاثين من أطفالها الصغار في جنوب كاليفورنيا ، وقد تم عرض ذلك بطريقة تبث الرعب في قلوب أطفال كثيرين .

٤- لم يعد هناك ما يؤكد بأن الطفل لن يفاجأ في أي وقت ما بمشاهد لا تناسبه علي الإطلاق كتلك التي تحتوى علي الرعب أو العنف ، كما أن المناظر الجنسية الخليعة أصبحت الآن تجبر كثيرا من الآباء علي أن يمسكوا بالة تشغيل جهاز التلفزيون (الريموت كنترول) كلما جلسوا لمشاهدته مع أطفالهم ، ويحكي أحد الآباء الكنديون بأنه بينما كان يشاهد مع أطفاله يوما فيلما تليفونيا طريفا عنوانه " الساحر والنمر" وخلال فترة الراحة وأثناء عرض بعض الإعلانات فوجئ بالإذاعة التليفزيونية تبث مشهد : " أطفال يقتلون أطفال" Kids Killing Kids وقد ظهرت هذه الكلمات بحروف كبيرة علي شاشة التلفزيون ، وبعد أن نطق المذيع بهذه الجملة ظهر أطفال محمولون علي نقالات تسيل دماءهم بغزاره بسبب جروح عميقة في رقابهم وأماكن حساسه من أجسامهم ، وكانوا في قسم الطوارئ بأحد المستشفيات ، وهنا سألني أبني وقد أعترأ الفزع : هل صحيح يا أبي أن الأطفال يقتلون أطفالا ؟ .

ويقول كيويي " أنه لا يصح أن يشرف الآباء باستمرار علي أطفالهم لأن ذلك أسلوب عقيم في التنشئة ولكن المطلوب هو بعض الحذر أو اليقظة من جانب الآباء ، لأن عروض التلفزيون اليوم تختلف عما كانت عليه منذ ثلاثين أو أربعين سنة مضت " .

خلاصة نظرية الصور النمطية في العنف التلفزيوني :

ويمكن أن تستخلص الآتي مما سبق :

- ١- إن الأطفال العدوانيين قد يصبحون فيما بعد راشدين عدوانيين .
- ٢- إن الطفل - في ظروف معينة - قد يكون في ذاكرته صوراً نمطية للسلوك العدواني aggressive scripts نتيجة لسلوكه بعدوانية أو ملاحظته للسلوك العدواني للآخرين (التعلم بالملاحظة observational learning) في المواقف الواقعية أو في مشاهد العنف التلفزيونية أو السينمائية)، وترجع أهمية مشاهد العنف التلفزيونية إلى أنها كثيرة الظهور أمام الطفل، فهي متكررة وفي متناول يده ، فإذا ما توافرت العوامل الأخرى البيولوجية والشخصية والاجتماعية سهل هذا على الطفل تكوين الصور النمطية للسلوك العدواني واستخدامها أي استرجاعها والسلوك وفقاً لها عندما يتعرض لمواقف مثيرة تدفعه نحو العدوان، ويتضح هذا في الحالات التالية:

(أ) عندما يكون السلوك العدواني سائداً بين أفراد الأسرة .

(ب) إذا كان الطفل ذاته سريع الغضب والإسـتـثارة لأسباب نفسية أو فسيولوجية .

(ج) في حالة صعوبة فهمه لمحتوى البرنامج المتضمن لمشاهد العنف بسبب عدم نمو قدراته المعرفية بطريقة تمكنه من تفسير تصرفات الأفراد في المشهد التلفزيوني العنيف ونواياهم .

(د) عدم تمييزه لعواقب السلوك العدواني واعتقاده بأنه هو الوسيلة الواقعية الصحيحة لحل المشكلات بين الناس ، ويظهر هذا مع انخفاض مستوى الذكاء .

- ٣- يفيد التدخل بإجراءات وقائية - سواء من جانب الأجهزة الإدارية المسئولة عن صناعة الأفلام أو الآباء - للحد من السلوك العدواني لدى الأطفال .